

## أثر القضية الفلسطينية على الشعر الحديث في لبنان

الاجتماعي اضافة الى كونه يتحول ، بسبب العلاقة الجدلية القائمة بينه وبين الواقع ، الموضوعي الى قوة مادية في هذا الواقع تأخذ شكل ، الكشف والنبوة حيناً وشكل الفعل المحرض والمعيء فالفاتل حيناً آخر وفي الحالين معاً يتحول الشعر الى سلاح ماضٍ في عملية التغيير الكبرى اي تغيير الشروط التي من شأنها ان تعيق حركة الواقع فيأسن وتكبل بنية المجتمع وتحول ، وبالتالي ، بينها وبين حركة التاريخ الصاعدة ، فيسترخي وينلبد ثم يبدأ في التحلل .

الشعر ، والفن عموماً ، لم يعد ضرباً من ضروب التواطؤ المجند لخدمة النهب الاستعماري او القهر الطبقي مهما تخفى وراء الاصباغ البديعية والمصوغات اللغوية الزائفة او القول بسمو الفن وانشغاله بنفسه عما عداه .

انما تحول الشعر والأدب والفن الى سلاح ، كما سبقت الإشارة ، ودخل في ساحة القتال لا من اجل تفسير الواقع او تأويله فحسب بل من اجل تغييره واشعاله بالثورة لصلحة الحياة وجماهير الكادحين « حيث ان المسألة الاساسية في هذا العصر وبالدرجة الاولى ، هي تغييره » .

في ضوء ذلك نرى ان الدم الحقيقي والحرار في الشعر ، وفي كل فن ، هو المستمد أصلاً من نسج قضايا الواقع الاجتماعي وان السياحة الكلامية على هامش المجتمع والتاريخ من شأنها ان تمصل دم الشعر وتمسح وجهه وتطرهه سلعة رخيصة ، مهما ارتفع ثمنها ، في سوق النخاسة الطبقية او الاستعمارية .

تأسيساً على هذه الحقائق الموضوعية يتحدد الدور الثوري للشعر والادب على وجه الاطلاق . وهنا لا يخامرنا ادنى ريب في ان هذا الدور اشد ما يكون خطراً وابعده ما يكون اثره ، على حاضر الناس ومستقبلهم في مراحل مميزة بالحدة والحسم والخطورة من التاريخ البشري تماماً كمثل المرحلة التاريخية الراهنة التي نتجازها امتنا العربية وهي في اعلى درجات المواجهة مع العدو المثلث الوجوه والمتعدد الأذرع والمخالب :

اولاً - قوى الامبريالية العالمية وفي طليعتها الامبريالية الامريكية .  
ثانياً - الصهيونية العالمية وقاعدتها اسرائيل المخفر الامامي للاحتكارات الامريكية ولا سيما احتكارات النفط .

ثالثاً - الرجعية العربية الفانصة في مستنقع العمالقوالارنهان.  
ان هذه المواجهة المشتعلة ، منذ عشرات السنين ، بين الشعوب العربية من جهة وبين عدوها المثلث الوجوه والمتعدد الأذرع

ما احسبنا بحاجة ، بعد ، الى تلمس الحجج المختلفة نسودها ، على حياء لنضعها بين يدي « الشعر » معتبرين اليه على زجه فيما لا يعنيه والنزول به في غير مكانه اللائق ، فللشعر كما يدعي اهل الترجمة ، رسالة اخرى ، رسالة لا تسف ، بحال ، الى درك الانشغال بهوم الناس ومشاكل الحياة بل تنأى بجانبها عن هذه التوافه من الأمور وتظل مرصودة لوجه الفن الخالص مختارة ، من اجل هذه الغاية القنبسة ، التهويم في الاجواء العلى والسير على قدم السحاب .

نقول ما احسبنا بحاجة ، بعد ، الى تلمس الحجج لتعتذر بها الى « الشعر » ونحن في بداية الرحلة معه في واحد من مجاري الحياة العربية المشحونة بالاحداث الجسام والمعضلات العملاقة على وجه من الخطورة لم تعرفه في سابق تاريخها المعاصر .

وذلك لانه قد مضى ، الى غير رجعة ، زمن الفصل التسففي بين هموم الشاعر - او الفنان الابديعية وبين ما يحترم مجتمعه من هموم مادية وروحية في مرحلة زمنية معينة .

وقد جاء زمن الوصل العضوي ، والتبادل الاثر ، بين ذات الفنان المنتجة وبين الواقع الاجتماعي المحيط به بمختلف ما يزدحم به هذا الواقع من تفجرات الحركة وتجليات الصراع المتعددة الصيغ والاشكال .

ان القول بان الشعر - والفن عموماً - ليس غير ظاهرة اجتماعية كبير شأنها ان تعكس ، فنياً ، واقفاً موضوعياً محدداً في رقعة من الزمن محددة هي ايضاً ،

ان هذا القول دخل ، منذ زمن ليس بالقصير ، في معجم الحقائق العلمية وتكرس في صلابه القانون .

انما علينا ، في هذا الصدد ، ان نبادر فوراً الى توضيح علاقة الانعكاس هذه من الواقع الموضوع الى ذات الفنان المنتجة ومنها ، بالتالي ، الى العمل الفني المنتج فنقول بان هذه العلاقة ليست علاقة انعكاس آلي عقيم بين اطراف العملية جميعاً بل هي ، وبالتأكيد ، تفاعل جدلي مخصب وتبادل في التاثر والتاثير واسع العطاء وشديد الخطورة .

من هنا لا نرانا ملزمين ، بعد ، بضرورة الادلاء بالشهادة بين يدي الشعر او تقديم الدليل القاطع له على براءتنا من دمه اذا ما اطلقنا ، من بداية الرحلة والى نهايتها ، من موقع القول بانصوائية الشعر - والفنون جميعاً ، او ، بعبارة ادق ، اذا ما اطلقنا بتعريف الشعر بانه موقف اي التزام بوصف كونه شكلاً من اعماق اشكال الوعي

والمخالب من جهة ثانية قد ازدادت اشتعالا في بحر السنوات العشر الأخيرة على وجه الخصوص . الامر الذي دفع حركة التحرر الوطني العربية الى ان تنقل مواقعها الى الخنادق الامامية من الجبهة العربية التي يشكل منها الخط الفلسطيني نقاط الصدام الاولى والرئيسية والى ان تكون هذه الحركة في حالة استنفار دائم لا سيما بين صفوف المقاومة الفلسطينية المسلحة التي تشكل، بدورها ، طابعا متقدمة في جيش حركة التحرر العربية .

من هنا اخذت القضية الفلسطينية حجمها العظيم من التأثير على مختلف القضايا من اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية وعسكرية .. الخ - وذلك بصفة كونها قضية محورية على ساحة المرحلة الراهنة من التاريخ العربي ، ولا بد ، والحالة هذه ، من ان تستأثر هذه القضية ، نفي القضية الفلسطينية ، بحجم من التأثير عظيم ايضا على حركة الادب العربي المعاصر عامة وعلى حركة الشعر العربي الحديث خاصة . وان تشكل ، بالتالي ، خطا محوريا في ساحة الكلمة العربية المناضلة سواء دخلت في النثر او الشعر والشعر تمييزا .

٢ - بعد هذا التهديد المكثف كيف نرى الى حركة الشعر العربي الحديث في لبنان من حيث تأثرها بالقضية الفلسطينية ؟

لا امراء عندنا في ان حركة الشعر الحديث في لبنان ليست غير جزء لا يتجزأ من حركة الشعر العربي الحديث عموما وان اتسمت ببعض الخصوصية التي لا تملك ان تمنحها هوية مستقلة في اي حال .. تماما كما هو الامر من حركة الادب المعاصر في لبنان اذ لا تعدو ، هذه الحركة ان تكون ، هي الاخرى ، جزءا لا يتجزأ من حركة الادب العربي المعاصر وان امتازت ، بدورها بخصوصية محدودة ليس في مقدرها ان تعلن استقلاليتها عن مجمل نتاجات هذه الحركة .

وهذا امر طبيعي جدا ذلك لان حركة التحرر الوطنية في لبنان، التي تنعكس عن واقعها ، جدليا ، حركة الشعر والادب والفن بالاطلاق ، ليست ، هي بالذات ، سوى جزء من الحركة الوطنية التحريرية في الوطن العربي بأسره .

ونحن نعترض لهذا الواقع الموضوعي في لبنان لا نكتثر كثيرا او قليلا بكلام منشئ قد يصدر عن تاجر في السياسة ماجور - من هنا ، او عن جاهل اعماه التعصب من هناك .

حسبنا ، في هذا الصدد ، ان نلتزم بالحقيقة التاريخية التزام جماهير الشعب اللبناني بها . يبقى ان نشير ، بعد ، الى ضرورة الوقوف ، على القضية الاساس ، القضية الفلسطينية ، بما نقصه من نتاج البحث العلمي مع رغبة الحرص على الايجاز ، وذلك قبل ان نخوض في الحديث عن الاثر ، المباشر وغير المباشر ، الذي احدثته هذه القضية ، وما تزال تحدثه ، في نتاج حركة الشعر الحديث في لبنان .

٣ - في القضية :

تجنبنا للدخول في التفاصيل والتفرعات نقول بان القضية الفلسطينية ليست غير مجمل مطالب ومطامح وافكار وممارسات الحركة الوطنية الفلسطينية عبر تاريخها الطويل الذاهب في العمق الى اوائل القرن الجاري .

لقد واجهت هذه الحركة ، منذ السنوات الاولى على ميلادها عديدين مباشرين هما الاستعمار البريطاني والمؤسسة الصهيونية العالمية ، الامر الذي جعلها عرضة لسلسلة رهيبية من المؤامرات شكل وعد بلفور العمود الفقري لها جميعا .

ومع نمو الحركة تضاعفت هجمات الاستعمار والصهيونية عليها مما سهل السبل امام هذه الهجمات وجعلها اقدر على احراز مكاسب وانزال ضربات موجعة بالشعب الفلسطيني المواقف المتواطئة التي ابتغىها تحالف الاقطاع والبورجوازية الرجعية سواء داخل الارض

الفلسطينية ام خارجها .  
رغم شراسة العدو الخارجي والتواطؤ الداخلي ، بقيت نار الحركة الوطنية الفلسطينية مشتعلة على تفاوت في حجمها والاثر بين هذه الفترة الزمنية وتلك .

ومما لا شك فيه ان بقاء هذه النار مشتعلة يعود لاسباب يأتي في طليعتها التفجرات الشعبية والانفاضات الوطنية داخل فلسطين ثم الدعم المتعدد الوجوه على تفاوت في الاهمية الذي جاءها من الخارج من قبل فصائل الحركة الوطنية العربية . ولم يكن في ذلك اذنى غرابة بسبب كون القضية الفلسطينية قد تحولت الى قضية قومية تعني جميع الشعوب العربية وتهز مشاعرهم من الاعماق .

ومع تصاعد النضال العربي لصد الغزو الصهيوني المسلح بانياب الامبريالية ومخالبها تحولت القضية الفلسطينية الى محور امامي على ساحة حركة التحرر الوطني العربية . ذلك لان الخطر الداهم لم يعد يهدد جزءا من ارضها للاغتصاب فحسب بل يهدد ، في نفس الوقت ، تضال ، هذه الحركة ، بسبب استقلالها وتحرير ثرواتها وتحقيق مطامحها القومية في الوحدة وبناء مجتمعها المتكامل .

وعبر الانتصارات والهزائم ورغم دخول الامبريالية الامريكية بثقلها الحربي في المعركة ، شهدت حركة التحرر الوطني العربية ، من بداية الخمسينات ، نهوضا ملحوظا تجسد في اكثر من ساحة عربية ، بتحويلات سياسية واجتماعية ذات شان كبير .

في زخم هذا النهوض العربي الذي اتخذ مساره الصاعد مع بداية الخمسينات ، انبعث في قيامة جديدة في ، حركة التحرر الوطني الفلسطينية . وهنا يمكن القول بان ولادة جديدة ، للقضية الفلسطينية انشقت عنها اواسط الستينات حين برزت بتدقية المقاتل الفلسطيني تتحدى ، بكبرياء وشجاعة ، مختلف اسلحة القهر الامبريالي الامريكي خاصة والاعتصاب الصهيوني وموقف الرجعية العربية المتواطئة رغم ادعاء قادتها العرص على القضية الفلسطينية وطرحها في سوق التعامل السياسي ، تملقا لمشاعر الجماهير الواسعة وابتزازا لامالها .

اذن قشمة مرحلة جديدة ساطعة من تاريخ القضية الفلسطينية قد انطلقت مع انطلاق الثورة الفلسطينية في اول العام ١٩٦٥ .

انما ينبغي الا يغيب عن الاهدان ، في هذا الصدد ، ان الانطلاق لم يبدأ من فراغ بل بدأ من تاريخ طويل حافل بالتضحيات الجسام والنضال العنيد والمواجهة الجريئة التي نهض باعبائها جميعا ، على كفاءة وطنية عالية ، الشعب الفلسطيني رغم الاختلال الكبير في موازين القوى لصالح العدو الاسرائيلي - الامبريالي .

وقولنا ان مرحلة جديدة ساطعة قد بدأت لا يعني ان تحولا حاسما قد اصاب هذه الموازين ورجحها لمصلحة حركة التحرر الوطني الفلسطيني او ان هذه المرحلة لم تشهد سوى الانتصارات لا ، لم نقصد الى ذلك بل قصصنا فقط الى ان تغيرا نوعيا متقدما قد دخل الى احشاء هذه الحركة ثم منحها براءة الثورة من اجل التحرر الوطني وبناء الدولة المستقلة .

نقول هذا من غير ان ننسى لحظة واحدة بان افجع هزيمة منبت بها الانظمة العربية وان اشرس مذبحه فتكت بالمقاومة الفلسطينية وقد وقعتنا خلال هذه المرحلة بالذات تعني بذلك هزيمة حزيران ومذبحة ايلول .

وهذا ان دل على شيء فانهما يدل على خصوبة هذه المرحلة بالاحداث الكبرى والتحديات المصيرية .

المهم ان حركة التحرر الوطني الفلسطينية قد خرجت من هذه الامتحانات جميعا وهي اصلب عودة واصح رؤيا واشد عزيمة على

## أثر القضية الفلسطينية على الشعر الحديث

— تابع المشور على الصفحة ١١ —

المضي في طريق الثورة تحقيقاً لآلام الجماهير الفلسطينية في العودة إلى الأرض الأم والحبيبة وإعادة امتلاك الوطن والتاريخ .

وانعكاساً لهذا الواقع الموضوعي جاءت حركة الأدب العربي المعاصر ، بما فيها حركة الشعر الحديث ، لترسم ، بلغة الفن ، قسماً القضية الفلسطينية وملامح العافية فيها والضمور ، هاتفة حينا ، وهامسة حينا آخر ، واضحة الوجه هنا ضائعة المعالم هناك ، متراوحة أبداً بين حقول الألوان جميعاً لرسم واقع القضية الواحد الرئي من منظورات مختلفة اختلاف المواقع الاجتماعية والفكرية لفارسان هذه الحركة وتلك من شعراء العربية وأدبائها .

شهادة على سلامة هذا المنطق الجدلي ظهر الشعر العربي الحديث خصوصاً والأدب العربي المعاصر عموماً معاً بدم القضية الفلسطينية على نحو لم يعرفه من قبل ، في فترة نهوض حركة التحرر الوطني الفلسطينية أي في المرحلة الجديدة الساطعة من تاريخ القضية الفلسطينية — مرحلة ما بعد العام ١٩٦٥ إلى يوم الناس هذا .

ولعلنا لا نصيف شيئاً إذا ما قلنا بأن نتاج حركة الشعر العربي الحديث المبدأ بقضية الفلسطينية قد دخل ، وهو يعكس جدلياً واقع هذه القضية ، أرض معركتها الساخنة سلاحاً من معدن آخر ، سلاح تعريضي ثوري وانارة وعي واغناء روح وتعبئة باليقظة والشجاعة فدخل الشاعر العربي ، بسبب ذلك « جزءاً حياً في نسج القوى التي تفجر حركة التحرر .. » والمثل النموذج عن هذا الشاعر هو ، بلا جدال ، شاعر المقاومة الفلسطيني سواء المقيم في داخل الأرض المحتلة أم المنفي عنها .

ولم تكن حركة الشعر الحديث في لبنان لتختلف ، في الخطوط العريضة ، عن مجمل حركة الشعر العربي الحديث من حيث آثارها بالقضية الفلسطينية .

٤ — ونحن على عتبة الولوج إلى ديوان الشعر العربي في لبنان لنرى مدى تأثره بالقضية الفلسطينية فلا يسعنا إلا أن نسجل بعض التشارات لعلها تساعد في الإضاءة وتوضيح معالم الطريق .  
أولاً : أن لبنان بجنوبه معرض لنفس الصيغة من الغزو الصهيوني التي سقطت ضحيتها فلسطين : الاجتياح فاقتلاع المواطنين فاغتصاب الأرض وما عليها فالاستيطان .

ان العدو الإسرائيلي لا يخفي تأمره على جنوبي لبنان طمعا بأرضه ومائه وموقعه الاستراتيجي .

فقد صرح موسى دايان عشية اليوم الأخير في حرب الأيام الستة « أن حدود إسرائيل أصبحت طبيعية على جميع الجهات باستثناء لبنان .. »

وفي رسالته المعروضة إلى الجنرال ديفول كتب بن غوريون : « ان حدود إسرائيل في المستقبل جعل نهر الليطاني حدود إسرائيل الشمالية » ..

— هذا النهر ينبع ويصب في لبنان مغترفاً جنوبه — وفي تصريح لمراسل جريدة « الوند » الفرنسية قال أشكول : — وكان رئيساً للوزراء — « لا يمكننا ونحن بأمس الحاجة إلى المياه أن نرى مياه نهر الليطاني تنهب ههنا لقد أصبحت القنوات جاهزة في إسرائيل » .

نكتفي بهذا القدر من أقوال كبار مسؤولي دولة الاغتصاب الصهيوني لنتنقل ، من فورنا ، إلى أرض الواقع فماذا نشاهد على

الطبيعة كما يعبر أهل الفن ؟

ان أول ما يصدم أنظر بعنف ، من واقع الجنوب اللبناني الراهن ، تلك اللوحة الحقيقية الشاسعة من الحرائق والدمار واللحم البشري المنائر والدم المتخثر .

ثم طوفان الفصب الملقوم ..

حدود هذه اللوحة ، في الزمن ، تصل إلى عام ١٩٤٨ ولكن منسوب القتل والحرق والتدمير بدأ بالارتفاع وبوتائر عالية ، في أواخر الستينات وما زال مستمرا .

وفد بات من المعروف تماماً ان وراء نصاعد الاعتداءات الإسرائيلية على جنوبي لبنان تكمن رغبة دولة الاغتصاب الصهيوني في السيطرة على الجنوب بعد تفرقه من اهله ، من اصحابه التاريخيين تماماً كما جرى الحال بفلسطين في بدايات فصول المهزلة — المناسبة .

ثانياً : ان جنوبي لبنان هو في الاصل امتداد تاريخي وجغرافي لمنطقة الجليل الفلسطينية وان حدوده الحالية مع فلسطين لم ترسم قبل نهاية الحرب العالمية الأولى ، وانه ، على الرغم من ذلك ، بقي إلى عام ١٩٤٨ وتبقى الصلة شديدة التأثير بالحياة الفلسطينية على مختلف اصعدتها لا سيما على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي .

ثالثاً : ان حركة الادب في لبنان عامة وفي الجنوب اللبناني خاصة وحركة الشعر بالتحديد ، تأثرت ، للأسباب الانفة الذكر ، بالغ التأثير بالقضية الفلسطينية الامر الذي منحها تلك الخصوصية المحدودة والتميزة عن مجمل نتاج حركة الادب العربي المعاصر بما فيها حركة الشعر الحديث .

رابعاً : ان حركة الشعر الحديث في لبنان قد تأثرت بالقضية الفلسطينية حين بدأت هذه القضية مرحلة نهوضها الراهنة . تماماً كما كان الامر مع مجمل حركة الشعر الحديث العربية مع التأكيد على الخصوصية النسبية للنتاج الشعري الحديث في لبنان ولا سيما في الجنوب .

تأسيساً على هذه الاشارات الأربع ، وفي ضوء ما تقدم من عرض ، ندخل ، مباشرة ، في عملية الكشف عن بصمات القضية الفلسطينية وآثارها على نتاج الشعر الحديث في لبنان معفين انفسنا من الوقوف على نتاج ما قبل المرحلة الجديدة الساطعة من تاريخ القضية الا للضرورة التي يقتضيها سياق البحث .

٥ — من الحقائق الثابتة تاريخياً أن حركة الشعر الحديث في لبنان قد سبقت ، في الولادة والنمو ، مرحلة النهوض الثوري الراهنة تحركة التحرر الوطني الفلسطينية ولكنها لم تسبق ، وما كان لها أن تسبق ، نهوض حركة التحرر الوطني في لبنان وفسي بقية الاقطار العربية اللهم الا في حالات الارهاص والكشف الحدسي .

من أهل النقد الادبي من يأخذ ، في هذا الصدد ، على حركة الادب العربي ، عموماً ، تخلفها عن المعركة الدائرة على الساحة الفلسطينية ، متهما الادب العربي بالتقصير « في تعريف المسألة الفلسطينية لانه ، لسبب جوهري ، لم يتميز بالتوعية — المطلوبة — والتامة .. » (١)

وباستثناء ادب المقاومة في الأرض المحتلة الذي تميز بأنه ادب يساري .. (فان نتاج الادباء العرب لم يحتضن المسألة الفلسطينية احتضاناً كاملاً — ونورياً) (٢) . هناك من يرفض بحزم ، هذا الاتهام ولا يرى فيه سوى ظاهرة عن الموقف المثالي من الادب الذي لا يعمل أن يكون شريحة في البناء الفوقي لأي مجتمع من المجتمعات .

(١) الاداب العدد ٩ سنة ١٩٦٧ ص ١٨ .

(٢) نفس المصدر .

طبعا ان هذا القول يحمل ، بالضرورة ، على النقاش وتنازع الرأي حول مداه من الصواب .

فهناك من يعني هذه النهمه عن الادب العربي انطلاقا من رؤيه علمية شاملة تضع الادب، وجميع شؤون الفكر ، في حيزها المحدد من البناء الاجتماعي ، في ضوء هذه الرؤيه يذهب الى اسقاط الشرعية عن مطالبه الادب العربي في ان يكون توريا تماما في حين أن ظروف الواقع الاجتماعي نتم تنضج بعد الى هذا المستوى او ، ذاك ، من الثورية .

وهناك من ينبري مدافعا عن الادب والشعر العربيين من حيثياتهما بالقضية الفلسطينية ذاهبا في الحماس الى حد القول بأنه لا يكاد يخلو نتاج ادبي في الشعر او الرواية او النصفه . او ... من اثر للقضية فيه لا سيما بعد اجتياح فلسطين واقامة الدولة الاسرائيلية المنضبة على ارضها ، مع التاكيد بان هذا الامر ليس من الضرورة ان يجيء بصورة مباشرة فيظهر للعيان انما قد يجيء بصورة غير مباشرة الامر الذي يجعل من مهمة تلمسه في هذا النتاج او ذاك مهمة شاقة وعسيرة .

ثم هناك ، أخيرا ، من يعارض هذه الافوال جميعا منفردا بصوت الناعي ليس الناصر العربي او الادب العربي فحسب بل الحضارة العربية على وجه التعميم والاضايق وهو اذ يجار بهذا النعي فانما يحاول بوعي منه او بغير وعي ، أن يدفع عن حضارة معينة هي حضارة البورجوازية العربية المنحرفة مع الاقطاع والسندودة الى الاوساط الامبريالية العالمية ، الامريكية خاصة ، بعلاقات العمالة والتبعية، انه يدفع عن هذه الحضارة بالذات تهمة الاسهام الفعلي في صنع الهزائم المشينة التي لحقت بالعرب على الساحة الفلسطينية كما على غيرها من ساحات النضال العربي .

ومهما يكن من امر الاختلاف بين هذه الاراء جميعا فثمة حقيقة لا يمكن نكرانها او التهوين من شأنها وهي ان الادب العربي بصفة كونه نتاجا اجتماعيا يؤدي مهمتين في آن معا ، او يقوم بدورين ، يشكلان قيمته ويرشحانه ، بالتالي ، الى البقاء وهي :

– دور التأثير بالواقع الاجتماعي الى الاحتضان ، فنيا ، لمختلف هموم هذا الواقع ومعايشتها بصدق والتعبير عنها بامانه .

– ودور المؤثر في هذا الواقع الاجتماعي لكونه يقدم سلاحا معرفيا لا غنى للجماهير عنه كي تنتصر « ان تسعة اعشار الجماهير الكادحة ادركوا ان المعرفة سلاح لهم في النضال من اجل التحرر وان هزائمهم نجد تفسيرها في فقدانهم للمعرفة » (٢) ولكونه ايضا ، يخصص توفيق الانسان للتغيير ويفنيه بالرؤيا الثورية ويحصنه بالتفاؤل التاريخي من اوباء اليأس والقنوط التي تثيرها ، عادة ، الهزائم والنكسات في المجتمعات التي ما تزال قيد التطور كالمجتمع العربي.

وتقريبا للواقع نقول : بان الادب العربي قد مارس، الى هذا الحد او ذاك ، دورَي التأثير والتأثير المتلازمين على صعيد القضية الفلسطينية والتزم بها ، منذ نشأتها الاولى ، على هذه النسبة من الالتزام او تلك وعلى مستويات مختلفة من الفهم لها ، اي للقضية، في تعدد جوانبها وتشابك تعقيداتها .

ومصادقا على صحة هذا القول نشير، على سبيل المثال لا الحصر ، الى بعض الاصوات الشعرية في لبنان التي اسهمت في حمل الهم الفلسطيني في مرحلتي ما قبل عام ١٩٤٨ وما بعده حتى واسط الستينات حيث ابتدأت المرحلة الثالثة الساطفة بثورتها على ساحة النضال اليومي الباسل على ساحة الكلمة الشعرية المقاتلة .

٦ – ان جل شعراء لبنان التقليديين ، ان لم نقل كلهم ، قد غفدوا اكثر من قصيدة واحدة على جانب او اخر من جوانب القضية

الفلسطينية في مراحلها الثلاث جميعا . اكثر من ذلك فان بعضهم قد اصدر الدواوين المكرسة بكاملها للقضية ،

كدبوان « الفلسطينيين » لسليمان ظاهر او ما يشبه الدواوين كمثل المطولة الشعرية التي ارسلها في الناس عام ١٩٤٧ الشاعر بولس سلامة تحت عنوان « فلسطين واخوانها » .. والبالغ عدد ابياتها ٢١٩ بيتا ومظلمها :

يا منزلا وحيه في طورسينا

رحمك امطر سلاما في فلسطينا

ويأتي الشاعر الفردي في طليعة شعراء لبنان ، والعرب عموما، الذين وهبوا خناجرهم لقضايا التحرر العربية ، وهي المقدمة القضية الفلسطينية ، فاسمعه يخاطب « بلفور » بلفة الوجدانية المزمجرة :

الحق منك ومن وعودك اكبر فاحسب حساب الحق يا متجبر

ثم يناقشه بحدة المقتنع بحجته والسفاهة منطق الخصم :

لو كنت من اهل المكارم لم تكن من جيب غيرك محسنا يا بلفر

وهناك شاعر مهجري كبير هو – ايليا ابو ماضي قد هز وجدانه، ايضا ، هذا الجانب الاساسي من القضية الفلسطينية فانبرى يخاطب اهل صهيون :

الا ليت بلفور اعطاكم بلادا له لا بلادا لنا

فلندن ارحب من قنسنا وانتم احب الى لندنا

ثم يروح يؤكد الصلة التاريخية التي تشد فلسطين الى اصحابها العرب معبرا عن وطيد اماله في انها ستبقى لهم الى ابد الابد : وكانت لاجدادنا قبلنا وتبقى لاجدادنا بعدنا

ومن بين أبرز وجوه الشعر العربي يطل وجه الشاعر اللبناني الكبير بشارة الخوري – الاخلط الصغير وقد انشحن بجهر الغضب وعصفت به روح المروءات لدن سماعه صوت الثورة الهادر بفلسطين عام ١٩٣٦ فاتشد قصيدته الصمماء التي سارت في الناس مسارالمثل:

سائل العلياء عنا والزمانا هل خرفنا ذمة منذ عرفانا المروءات التي عاشت بنا لم تزل تجري سعيرا في دمانا

ثم ينتقل الشاعر بنا الى ساحة المجد ارض فلسطين فيقول:

يا جهادا صفق المجد له لبس الفار عليه الارجوانا شرف باهت فلسطين به وبناء للمعالي لا يدانسي ان جرحا سال من جبهتها لثمته بخشوع شفتانا وانينا باحت التجوى به عربيا ، رشفته مقلتنا ....

وينعطف الشاعر نحو وطنه لبنان الاسير في قيد الانتداب الفرنسي عهد ذاك فينسى ما يعاني من قهر الاسر او يكاد بسبب انشغاله بما تكابده فلسطين من اسي وهي الاخت الاثيرة وثمة عهد قد عاش على خبزه منذ المهدي .

يا فلسطين التي كدنا لما

كابدته من اسي نسي اسانا

نحن ، يا اخت ، على العهد الذي

قد رضعناه من المهدي كلانا

وبين الذلة والموت فلا خيار لنا سوى الموت تنزيها لكرامة الحياة وصيانة لعزة النفس :

شرف للموت ان نظممه انفسا جبارة تآبى الهوانا

تلك عينات يسيرة ، نحاول بعرضها ان نوميء فقط الى الحجم الكبير من الاهتمام الوجداني السخي كان يوليه شعراء لبنان

الكلاسيكيون للقضية الفلسطينية على مساحة زمنية تتجاوز الخمسين سنة تقريبا .

وبدعي القول ان هذا الاهتمام الوجداني لم يكن حصيلة افعال في العاطفة او تصنع في الشعور او مباحة في المواقف الاستعراضية، انما كان رشحا صادقا لما تختزنه صدور الشعراء من غضبٍ على الغزاة المعتدين ،ومن ثورة على الواقع العربي الاسن ، ومن اكيار لفرسان الحركة الوطنية بفلسطين اولئك الابطال الذين ينون الجسور بين تطلعات الحاضر العربي وامجاد الماضي .

هذا ولا يسعنا الا ان نغرد لشعراء الجنوب من لبنان حيزا خاصا بهم لا يميزهم عن غيرهم من حيث الشكل او المحتوى ، فهم اباعيون في الامرين معا ، ولكن من حيث تماسهم الحار بالقضية الفلسطينية باعتبار ان الجنوب اللبناني امتداد لساحتها على مختلف الجهات كما سبقت الإشارة الى ذلك ومن هذه الجهات او في طبيعتها ، جبهة الأدب ، فالشعر على وجه الخصوص .

وفي هذا الصدد ، نحى أن نؤكد ، دون ان نتهم بالبالفة من قريب او بعيد ، بانه لم يكن بين الشعراء في جنوب لبنان ، وليس فيهم اليوم ، من اغفل ذكرا للقضية الفلسطينية في إنتاجه الشعري فل هذا الإنتاج ام كثر . بل يمكن القول هنا ، استنادا لواقع الأمر ، بأن هذه القضية بالذات شكلت ، وما برحت تشكل ، الهم الفني الاكبر للشاعر الجنوبي حتى لتكاد تنقرى خارطة فلسطين ، بأبعادها جميعا ، على مساحة الشعر في جنوبي لبنان .

ولو يسعنا المجال ، هنا ، لطالت وهفتنا على اثار شعراء الجنوب الاباعيين المشحونة بفلسطين غضبا فتحديا فضلا تم جراحا وتضحيات شهداء .

حسبنا ، اذن ، ان نختار القليل من الكثير ونتقدم به على سبيل المثال ليس غير .

لقد سبقت الإشارة الى ان بعضا من شعراء لبنان لم يكتفوا ، في رسم معاناتهم فلسطينيا ، بقصيدة او أكثر يهزون بها منبرا هنا او يشعلون بها صفحة هناك بل تجاوزوا ذلك الى وضع الدواوين المنعقدة بكاملها على القضية واستشهدنا بالشيخ سليمان ظاهر على ذلك . يهنا ان نضيف ، الان ، بأن الشيخ سليمان شاعر جنوبي ، دون ما نظمه في فلسطين من قصائد في ديوان اسماه « الفلسطينيين » .

في قصيدة من هذا الديوان نظمها عام ١٩٢٩ ونشرها ، عامذاك ، في جريدة المقتبس الدمشقية ، يقول الشاعر :

سائر بريطانيا ملذا جنت يدها  
وما تحاول من تمليك صهيوني

كم في الجزيرة منها عارضا هطلا  
ينهمل بالخسف لا بالخفض والين

يشفي البلاد انتداب واحد فضلا  
م حيرت بين صهيوني وسكسوني

يلاحظ ، بصورة غاية في المباشرة الواضحة ، كيف أن الشاعر يدين الاستعمار البريطاني المنتدب على فلسطين ، عهد ذلك ، لمسؤوليته العدوانية عن تحقيق الاهداف الصهيونية في فلسطين ، فاضحا ، بعد ذلك ، خدمة هذا الاستعمار في جزيرة المشرق جميعا بعد ان غزاها تحت راية التمدين والتطوير الزائفة في اعقاب الحرب العالمية الاولى .

وفي قصيدة ثانية من الديوان اياه يخاطب الشاعر فلسطين الجريح بما يشحن همتها ويوفد في صدرها جذوة الامل بالنصر مهما اشتدت وطأة القهر عليها :

مهلا فلسطين لا تأسى ، فللغير  
مهما دجا ليلها ، صبح من الظفر

ثم يذهب الشاعر في عملية تعزيز الثقة وتوكيد الامل وتنجيح الحماس الوطني الى طرح الحلم القومي في الوحدة كسلاح من امضى الاسلحة لتحقيق هدف انتحرر الوطني بفلسطين :

ترفسي دولة للعرب ظاهرة  
على البرية من بدو ومن حضر  
مكتوبة تلك في سفر الفتوح  
.....

وفي وجه « محمد علي الحوماني » يطل علينا شاعر جنوبي اخر رصد الكثير من عطائه الشعري لفلسطين ففنى بطولات ثوارها وصرخ في وجوه اعدائها ثم حرص واستنخى :

جدي عهدك جددنا الشبايا  
ورصدناك شعابا وهضابا  
يا فلسطين تمنسي تجدي

ما تمنيت بنا حتى الرفابا  
ثم برى الشاعر يمد يد الاتهام نحو الاستعمار الامريكي الذي انفلت الى احشائه الحركة الصهيونية بصفته الوريث الشرعي والمؤهل لقيادة دول الاستعمار الاخرى الاخذة في الضمور ومنها بريطانيا ، الحاضنة الاولى :

لم نلد مريم بلفور ولا  
انبتت نيويورك سعدا والحبابا  
رغم ذلك يهود الشاعر فيؤكد نسب الارض مشبها شرعية امتلاكها  
في الحاضر لمن كانت في ملكيته منذ اقدم العصور :

نحن فرس الله في تربتها  
وعليها مجدها شب وشابا  
وياتي شاعر جنوبي اخر هو الشيخ حسن صادق فيحسد مسؤولية اميركا عن الجريمة الكبرى التي اقترفتها بحق الشعب الفلسطيني وما تزال تقترفها بنهر الامدادات الذي لا ينقطع عن دولة الاغتصاب الصهيوني ، ويتساءل بمرارة موجمة :

عمي العاهل الاميركي عن الحق فما بال شعبه يتعamy ..  
وفي قصيدة اخرى نسمع الشاعر يخاطب دول الاستعمار بنفس المنطق الشعري الذي استخدمه غيره من الشعراء العرب :

هلا افضتم عليهم من بلادكم  
بموطن خصب الرعى لرواد  
انتم تجودون في اوطان غيركم  
لكن باوطانكم لستم باجواد

والشاعر الصادق اذ يشير في هذه القصيدة الى مجزرة « دير ياسين » التي ارتكبتها عصابات الصهاينة في عام الاغتصاب الاول فلا ينسى ان يشير ايضا الى مذبحه مماثلة قد ارتكبتها هذه العصابات السوداء اياها وفي ذات العام ولكن في قرية لبنانية على الحدود الجنوبية وهي « حولا » حيث فتك الجزاؤون الصهاينة باكثر من سبعين ضحية بين شيخ وامرأة وفنى وطفل دون ذنب اتوه :

ما « ديرها » يشبه « حولا » بنكبتها  
وان هما اذكيا قلبي بافساد  
ثم يصرخ شاعرنا بفيظ وحزن بالفين :

تمني فلسطين في دهيا واحدة  
لكن لبناننا يمني باحد

ولو كان المجال يسعنا لاستردنا من الامثلة نرسلها عن الانتساج الشعري الاتباعي في الجنوب ، ذلك الانتساج المعبا ، على كثير من الصدق ، بالهم الفلسطيني المتعدد الجوانب . ولكن ، رغم ضيق المجال ، لا نجد لانفسنا مبررا اذا ما اغفلنا الإشارة الى شاعرين جنوبيين التزما ، في وقت مبكر ، بالقضايا الوطنية والقومية وخاصة القضية الفلسطينية وعرفا ، في شعرهما ، بالصوت الجريء والنكتة الساخرة والالتقاط البارع لمشاهد الحياة السياسية والاجتماعية .

والشاعران هما عبدالحسين عبداللله وموسى الزين شرارة . هذا بالاضافة الى غيرهما من الشعراء الكثر الذين ازدحمت بهم ارض الجنوب والذين شاركوا بنسب مختلفة ، في التفني بامجاد فلسطين او في البكاء على جراحها النازفات .

ومهما اختلف الشعراء الاتباعيون في لبنان ، من حيث الجودة والبراعة في اشكال الشعر المكرس لفلسطين واساليبه ، فهم يتفقون ، او يكادون ، في المواضيع المختارة من القضية التي لا تتعدى الا بقليل حدود التنديد بوعود بلفور وشمس المنتدب البريطاني والتنبيه الى خطر التآمر الصهيوني الاستعماري ثم الدعوة الى وحدة الصف العربي ومقاومة الاعداء الصهاينة والمستعمرين مع افتخار بامجاد الماضي واكبار روح الشهادة والفداء في الحاضر .

والمبالغة المفرطة في تصوير قوة العرب بدافع من نزعات شوفينية والتوهين المجاني ، في الوقت نفسه ، من قوة الاعداء .

٧ - بعد هذا الاستعراض الذي اقتضته الضرورة المنهجية في البحث الى حدود غايتنا ، نصل الى ارض الشعر الحديث في لبنان . لكن من باب التنديد ، ليس اي شعر حديث انما ذلك القطع منه المابق برائحة فلسطين والمصبغ بلون جراحها والمسكون بهاجسها ، دون ان نشترط الوضوح دائما في هذه العلاقة القائمة بين الشعر والقضية فقد تتخفى هذه العلاقة وراء الصسور الشعرية او التدايعيات او الشارات او الرموز فالاساطير ، اي وراء ادوات الشعر الحديث جميعا ، الى حد الامحاء او ما يشبه الامحاء ، الامر الذي يجعل من مهمة الدارس لهذا الشعر مهمة شاقة وصعبة المراس لا سيما اذا ما حاول هذا الدارس - ان يستقري بواطن العمل الشعري ليقع منها على بصمة من هنا او سمة من هناك توثقان الى موضوع محدد او قضية بعينها .

في ضوء ذلك بماذا ترانا نواجه في نتاج الشعر الحديث في لبنان اذا ما رحنا نلمس الخيوط ، الظاهرة والمستخفية التي تشده الى القضية الفلسطينية .

لست ادري اذا كان من الضرورة في شيء الخوض ، في هذا المجال ، في موضوع الشعر العربي الحديث اطلاقا ثم اللبناني خصوصا . شخصا لا ارى من ضرورة الى ذلك ليس فقط لان مجال هذا البحث المحدد لا يسمح به لان القول الذي ارسل في الشعر الحديث تعريفا وعرضا وتقدا وتاريخا وتقييما من الكثرة والتنوع بحيث يفينا ، هنا ، عن الوقوف عنده موقف المرفع فالحلل فالمتهم ، حسبنا ان نطلع على نماذج شعرية مما جادت به مرحلة ما قبل النهوض الثوري على ساحة القضية الفلسطينية اعني مرحلة ما قبل اواسط الستينات ومن ثم ننقل الى مرحلة هذا النهوض الخصبة بمطاهراتها الثورية على صعيد القضية خصوصا من هنا كانت خصبة بمطاهراتها الثورية على صعيد القضية خصوصا . من هنا كانت خصبة الكبرى القضية الفلسطينية .

لسنا الان بسبيل تاريخ حركة الشعر العربي الحديث في لبنان فلهذا الموضوع مجال اخر غير هذا المجال . ما يهمنا من هذه الحركة ان تقف على مدى تأثرها ، اذا كان هناك من تأثر ، بالقضية الفلسطينية .

في ضوء ما تيسر لنا الاطلاع عليه من نتاج هذه الحركة في تلك الفترة المحددة يمكن القول ان القضية بقيت شبه غائبة ، ان لم نقل غائبة كلية ، عن مناخ الشعر الحديث في لبنان . وبكلام اخر ان محاولة تلمس وجه القضية في شعر تلك المرحلة تكاد تكون محاولة خائبة لولا بعض الشارات المضمرة والابماءات المستخفية المتناثرة هنا وهناك في قصيدة لهذا الشاعر او ذاك وفي اطار محدود جدا .

وتأكيدا على صحة ما نذهب اليه حسبنا ان نتمثل بشعراء مجلة « شعر » اولئك الشعراء الذين احتلوا مساحة واسعة من خارطة الشعر الحديث في لبنان في تلك المرحلة الزمنية .

فعلى الرغم من ان مجلة « شعر » لم تكن وحدة او عقيدة او

مذاهبا : كما يقول ادونيس احد ابرز وجوهها المؤسسين ، وعلى الرغم من ان الشعراء الذين النوا حولها لم يشكلوا مدرسة او هيئة بل كان « كل شاعر من المجموعة يحد ذاته نافذة مسنطة على الشعر وعالم شعري قائم بنفسه الى حد التناقض » على حد تعبير انسي الحاج ، وهو الاخر واحد من الوجوه البارزة . على الرغم من ذلك كله برزت مجلة « شعر » كمعلم واضح السمات في كتاب الشعر الحديث وشكلت تيارا محمدا كان له نفوذه وتأثيره على وسط من شعراء لبنان الجدد كما على عدد من شعراء بعض الاقطار العربية .

ليس يهمنا ، هنا ، ان نستعص في الحديث عن شعراء مجلة « شعر » على وجه الاطلاق . ما يهمنا هنا ، على وجه الخصوص ، هو ان نستكشف اثر القضية الفلسطينية في نتاجات هؤلاء الشعراء . قبل محاولة الاستكشاف نرانا ملزمين بايراد بعض الافكار المحورية التي ارسلها في اناس الشعراء المؤسسون عبر المجلة . او في نودتها الاسبوعية ، « خميس شعر » او في غير هذه وذلك من منابر الكلمة المقروءة او المسموعة ، وذلك لنستبين بهذه الافكار خلال محاولتنا تلك ولنتتبع في الانتاج الشعري وقع هذه الافكار .

يقول يوسف الخال صاحب المجلة ومؤسسها الاول : « نحن نجدد في الشعر لا لاننا قررنا ان نجدد . نحن نجدد لان الحياة بدأت تتجدد فينا او قل تجدنا » .

ولكن صفة الجديد في الشعر فهمها شعراء المجلة على انها « تتناول مضمونه لا شكله ، وان المضمون يجب ان يكون استكشافا للذات لا تعبيرا عن قضايا المجتمع » وان « فؤاد رفقه » قد صاغ هذا الفكر التالي بجملة تعريفية واضحة الانتهاء حين قال : « ان الاثر الشعري ليس انعكاسا بل فتح .. ثم استطرده محمدا غاية الشمرهانه « وجدد ليهاج النفس واقتنص الرؤيا السعيدة » .

ثم يأتي ادونيس في تلك المرحلة فيؤكد هذه الرؤيا المثالية في التجديد والثورية عند يوسف الخال اذ يتحدث عنه في المقدمة التي عقدها بين يدي « قصائد مختارة » فيقول : « شعراء الجودة والطبيعة ثوريون كلهم بشكل او باخر . لكن بعضهم يؤخذون بالكمية الثورية ويؤخذ بعضهم بحضور الواقع الناجع فيسكنونه ويقيمون فيه اعراس الجمال والخلق . ويعبر البعض فوق هذا الواقع ، بروح ثورية ، الى ملجأ وراءه لكن ضمنه ايضا ، يوسف الخال ثوري لكن بنور المسيح .. ثم يضيف بكلام اكثر وضوحا واشد صراحة « حين يلتقي الانسان بنفسه ويلتقي بالمسيح يتم خلاصه . وسيظل في ضياع الى ان يتم هذا اللقاء » ..

ولعل السيدة خالده السعيد ، وهي من اسرة مجلة شعر .. ، قد وجدت في هذا اللقاء هوية النبي فمحتها للشاعر الحديث ليفقامام هذا العبت الحال بالعالم العربي « وامام الفوضى ليكون نبي عصره وها هو النبي الجديد منفي مضطهد متشرد محروم يقابل بالنفور وعدم الفهم » .

تلك عينات يسيرة عن بعض الافكار المحورية التي نهضت على اساسها مجلة « شعر » ولعلنا في غنية عن القول انها تنتسب جنورا وفروعا ، الى عالم المثاليين في الفكر والفلسفة . وكان لم يكف هذه المجلة طرح هذه الآراء والمفاهيم للكشف عن موقعها الايديولوجي بل حاولت ان تؤكد هذه الحقيقة من حيث هي تنفي عن نفسها المنهية السياسية او العقائدية - لنقرأ في العدد ١٦ منها الصادر في خريف عام ١٩٦٠ : « فليس لمجلة شعر ، كما اعلنا مرارا ، أي اتجاه سياسي او عقائدي وهي كمجلة خاصة في الشعر تقف فوق اصطراع المذاهب السياسية والعقائدية في العالم العربي وفي العالم كله .

لسنا بحاجة الى بلل اي مجهود لدحض هذا القول وتعريته

وكشف خطله ومناقضاته للعالم ، اذ لم يعد هناك من يطالب بالدليل على انتقاء منطقته الخواء او انعدام العلاقة بالصراع الاجتماعي في اي مكان او زمان كان .

ورغم هذا الحرص من مجلة « شعر » على الظهور بمظهر المحايد سياسيا وعقائديا فسرعان ما « يتبين للمتتبع ان عداء المجلسة ليسار لا يخلو منه عدد » كما جاء في دراسة رشيد الضعيف .

اما موقفها من التيار العروبي فلا يقل عداء او موحدة . لقد اردنا من هذا الاستعراض المكثف لبعض افكار مجلة « شعر » الاساسية ولخطها السياسي للوصول الى حقيقة موضوعية هي ان شعر مجلة « شعر » رغم حدائته و« ثورته » على الاسس والمفاهيم التي استقرت عليها حياتنا طويلا .. بقي غريبا عن واقعنا العربي بعيدا عن قضاياها وفي طبيعتها القضية الفلسطينية لا لكونه نبوة مضطهدة غير مفهومة كما اشارت السيدة خالدة سعيد بل لكونه جاء تصيرا عن موقف ايدولوجي معين بالاضافة الى ان المرحلة الفلسطينية لم تكن مرحلة ثورية بحيث تقنم كل ابيتنا على الارض العربية كما هو حاصل هذه الايام .

من هنا لا بد ان جاءت الكتابات الشعرية لمعظم اسرعة مجلة « شعر » مجموعة اصوات ضمنية خاوية من الهاجس العام مشحونة بهلوسات الذات وفذلكات التجريب والبحث عن قارات لا وجود لها الا في تهاويل الكلمات واصواتها الزائفة . الشاعر الذي يتشاغل بنظم قصائد لا صوت فيها للعالم ، للاخرين ، لضرورة اختيار الموقف ، انما يخون الشعر .

وقد يكون هذا الموقف من شعراء مجلة « شعر » مستغربا بعض الشيء بسبب انتمائهم النهي لمؤسسة حزبية ترى في فلسطين جزءا لا يتجزأ من جسد ( الوطن السوري الكبير ) ، اللهم الا اذا كان في البعث التموزي ، الذي يشكل في انتاجهم الشعري قطبا محوريا صيغة شعرية من صيغ معاناة الواقع العربي بوجه عام والفلسطيني بوجه خاص ولكن سرعان ما يظهر علينا « جبرا ابراهيم جبرا » بتفسيره للرمز التموزي عند يوسف الخال وهو يعالج مجموعته « البئر المهجورة » بالنقد فيقول : ( والديوان كل قصيدة منه ترتكز على هذه المعادلة الاساسية : الارض والماء هما تموز وتموز هو المسيح والمسيح هو الانسان هذا الانسان الذي اردوه مطلقا هابطا من السماء الى هذه الارض الخراب :

« ايها البحر ، يا ذراعا مددناها الى الله ،

ردنا لك دعنا

نسترد الحياة من نور عينيك ودعنا

نرخي مع الريح شراعنا ، نروح ونغدو

حاملين السماء للارض دعما

ودعما جديدة

( البئر المهجورة )

انه الفكر المثالي ابدا يملئ على الشاعر صورته ورموزه ويحمله على انتظار الخلاص المنزول من فوق صوتا مدويا يشيع الربيع في اوصال الحياة العاقر ويعيد الى ، الامة ، مجدها الفابر ... وعن نفس الينبوع صدر « ادونيس » في مرحلة انتمائه الحزبي وان تميز صوته بالبكارة وروح المغامرة في عالم اللغة كما تميز بحرارة الالتزام بما كان يراه قضية امته ، انما بقي ، رغم ذلك ، مهلقا باهداب الغيب يترقب حدوث المعجزة على يديه فيتحقق الوعد وتقف عربة الانتظار :

« من انا ؟ اي هوى احيا له

افقي وعد وعياني انتظار ... »

بيد ان ادونيس قد لجأ الى طريقة جديدة في التعبير الشعري

هي ابداع شخصية جديدة تتقمص خواطره ومشاكله ونوازه وتجدد حياته ، هذه الشخصية هي شخصية مهيار الدمشقي التي انطوت على جميع القضايا والمواضيع كمشكلة الموت والغربة ثم الانبعاث والسيرورة تحقيفا لتجربة هي الصوفية حيث الوحدة مع الكون واستقطابه والاستمرار فيه حيث الحساسية اللامتناهية التي تمتد لتتحرق قشرة العالم وتلمس قلبه على حد تصوير السيدة خالدة سعيد ، زوج الشاعر . انما علينا ان نفهم ان هذه الوحدة مع الكون ليست غير ارتواء الى الذات كما تصرح بذلك السيدة خالدة نفسها ، من هنا ترجع المسألة في هذا كله عند الشاعر ادونيس الى « نظرة ميتافيزيقية تجعل من عالم الذات عالما قائما بنفسه يبدو معها الارتداد الى الذات » انكفاء وانفصاما عن العالم الموضوعي الاثر حقيقة والاكثر رسوخا وهو العالم الخارجى الذي تستمد منه الذات وجودها الكياني ... » ( حسين مروه في « دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي » )

ليس من باب العرض المجاني ان نحاول ان نستكشف الموقع الفكري للشاعر انما من اجل ان نربط النتائج بالاسباب ليستقيم ، بالتالي ، حكمنا على نتاجه الشعري من حيث تأثره بقضايانا القومية في تلك المرحلة من مراحل حركة التحرر العربي ولاسيما على ساحتها الفلسطينية . وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة الى ان الهاجس الفلسطيني وان لم يحتل منطقة مستقلة خاصة به في شعر ادونيس في تلك المرحلة ، انما ، في الوقت ذاته ، لم يكن هملا او ساقتا من حساب الوجدان عند الشاعر بل ، على النقيض ، كان صدى في عاله الشعري قد التحم وانغم في تلك الشبكة المعقدة من اصوات واقعه الاجتماعي واصدائه التي لا حصر لها ، من هنا انشحن عالمه بكل عناصر البطولة والمأساة والفرح والكتابة ، الالفة والغربة ، الهزيمة والانتصار « على النحو الذي رسمته بالرمز والانفجار » « تحولات الصقر » من « كتاب التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل » ..

يبقى ان نفرد لرائد آخر من رواد الشعر الحديث في لبنان المكان الذي يستحق من مساحة هذه المرحلة قبل ان نصل الى خاتمتها . وهذا الشاعر الرائد هو خليل حاوي الذي اعرض عن تيار مجلة « شعر » بسبب اختلاف في وجهة نظره عن وجهة نظر اقطابها في ما يتعلق بوظيفة الشعر وبالموقف الذي يقفونه من حضارة العررب وتراثهم كما جاء في دراسة لاحمد ابو سعد .

وعلى الرغم من ان خليل حاوي قد عالج قضية « الصراع الانساني » برؤيا مثالية تجريدية تكرر رؤيا الفلاسفة المثاليين ، الا انه كان اشد التصاقا بمجتمعه العربي واوثق صلة بقضاياه الوجودية وكان ، بالتالي ، ادهف شعورا بواقعه المأساوي واحد نبيرة في التعبير عن رفضه لهذا الواقع .

ولكن عينا نحاول ان نشر على وجه فلسطين العاري في شعره ، وليس هو المطلوب بالضرورة ، انما الامر الذي لا شك فيه هو ان هذا الوجه بصفة كونه جانبا مذابا في الوجه العربي الكامل قد شكل هما وجدانيا لدى الشاعر فعانى منه اشد المعاناة وحاول ان يتفجر في أكثر من قصيدة واحدة او قل في اكثر من مجموعة شعرية واحدة . وقد تجيء قصيدته « العازر عام ١٩٦٢ » مثلا نموذجا عن تلك المشاركة الوجدانية الحميمة النازفة في مشاكل الواقع العربي المأزوم في فترة زمنية محددة .

وعازار خليل حاوي ، كما قدمه حسين مروه « ليس سوى رمز الجبل العربي الذي يعاني ارهاصات الانبعاث او هو يعاني الانبعاث فعلا ولكنه انبعاث خير منه الموت »

( عمق الحفرة يا حفار

عمقها لقاء بلا قرار

ترتمي خلف مدار الشمس

تلك هي صرخة لعازار المشحونة بالريح واللهب وقد تفجر بها اذ اصطدم « بحياة راي فيها مأساة تفوق مأساة الموت » فخرجت كما يقول انطوان غطاس كرم ، « الانا من جحيمها الفردي الى جلجلة الامة، الى انحلال الحضارة في نهاية دورتها »

وقد يكون في الواقع العربي ، عهد ذلك ، ما يحمل الشاعر على هذا الصراخ النازف غيظا وبأسا ولكن على شاعر كبير مثل خليل حاوي ان يكتشف الامر الجوهرى ، في تناقضات الواقع ، بطريقته الشعرية التي تعتمد الرمز والايحاء .. وهو ، بالتالي ، « مطالب بأن يكتشف قوانين التناقض »

وهذا ما لم يفعله خليل حاوي في تجربته الشعرية المرصودة ، بجانب كبير منها لقضايا واقعه العربي . وهو في مرحلة التمزق والانتظار ...

٨ - في مرحلة النهوض :

لقد سبقت الإشارة الى ان حركة الشعر الحديث في لبنان لم تكن لتختلف ، في خطوطها الرئيسية ، عن مجمل حركة الشعر الحديث في بقية الاقطار العربية من حيث تأثرها بالقضية الفلسطينية لا سيما في مرحلة سطوعها منذ أواسط الستينات الى يوم الناس هذا .

كما سبقت الإشارة ايضا الى أن الشاعر العربي ، بوصف كونه جزءا حيا في نسيج القوى التي تسهم في حركة التحرر العربية ، قد دخل أرض المعركة بسلاح التعريض الثوري وانارة الوعي وتمسك الجماهير باليقظة والشجاعة ، وقد ضربنا مثلا على ذلك بشاعر المقاومة الفلسطينية سواء المقيم في الاسر الاسرائيلي او المنفي عن وطنه . وهنا لا بد لنا من وقفة تستدعيها ضرورة البحث ، وذلك لتسجيل واقعة وهي ان حركة الشعر الفلسطيني المقاوم لم تمارس فعلها الثوري على صعيد التأثير في الوجدان السوري للمناضلين والجماهير ، كما يقول محمد دروب ، بل « مارسته أيضا على صعيد الشعر العربي الحديث نفسه ، وهذه الحركة تمارس فعلها الثوري بوصف كونها جزءا من الحركة العامة للثورة مندمجة بها متفاعلة معها لا موازية لها او منزلة عنها » والى هذه الحقيقة الموضوعية اشار محمود درويش حين قال : ان هذا الشعر الثوري الفلسطيني لا يعبر عن ثورية اصحابه معزولين عن حركة جماهيرية يعبرون عن صراعها . اذن في الوقت نفسه الذي كانت حركة الثورة الفلسطينية تمارس فعلها او تأثيرها الثوري على مجمل حركة الشعر العربي الحديث ، ومنها حركة الشعر الحديث في لبنان ، كانت حركة الشعر الفلسطيني المقاوم تمارس تأثيرها ليس على الوجدان الوطني لدى الجماهير العربية فحسب بل وعلى حركة الشعر العربي ايضا ومنها حركة الشعر في لبنان . وليس هذا القول يعني ان حركة الشعر الفلسطيني المقاوم لم تتأثر ، هي بدورها ، وعلى هذا النحو او ذلك ، بحركة الشعر الحديث في العالم العربي وخصوصا في العراق ولبنان ، بل تأثرت كبير التأثير لاسيما في مرحلة نهوضها وهذا واقع موضوعي لا سبيل الى نكرانه أو التقليل من قيمته .

وهنا لا بد لنا من التذكير بالخصوصية التي تميز بها لبنان ، لاسيما الجنوب منه من حيث تأثره بالقضية الفلسطينية في مختلف مراحل تطورها ، خاصة في المرحلة الراهنة .

يقول ارنست فيشر : « ان دور الشاعر لا ينفصل عن الواجبات الصعبة ولا ينفصل عن مواجهة كل ما يعترض الانسان » ولو بحثنا بين شعراء العربية عن يلبع هذا الدور بوعي ثوري وتحد شجاعا وجدنا افضل من شاعر المقاومة الفلسطينية انما هذا الواقع لا يجعل هذا

الدور حكرا على شعراء المقاومة فقط ، لا ، فهناك فصائل من الشعراء العرب الذين « اتحد شعرهم بالارض وانصهر بالهواء واحتضن الانسان المهان » كما اراد بابلو نيرودا لشعره ان يكون . ولسنا مطالبين ، الان ، بتعداد هؤلاء الشعراء او تسميتهم ، نحن مطالبون فقط بالحديث عن النتائج الشعري الحديث في لبنان ، ثم ليس النتائج جميعا انما عن ذلك الجانب منه الراشح بانفاس القضية الفلسطينية كونها مسألة ثورية تضع واجبات صعبة امام الشعراء العرب كافة ، ومنهم اللبنانيون ، كما تشكل مواجهة تعترض الانسان على هذه البقعة من الارض .

ومما لا شك فيه ان هذه المواجهة قد تضاعفت حدة واشتعلت تحديا بعد هزيمة حزيران وبسببها الامر الذي ضاعف من الواجبات امام الشعراء العرب وجعل هذه الواجبات اكثر صعوبة .

وهنا لا ترانا بحاجة الى ان نقف عند اسماء اولئك الشعراء الذين اخذهم الهول من الهزيمة فتصدعوا وتساقطوا وكانهم البناء الهش الذي ضربته الزلزلة على حين فجأة ، وما كان صراخهم المسكون بالرعب سوى الشهادة على تهرؤ عالمه البرجوازي بكل ما ينصوي عليه هذا العالم من افكار واوهام ومؤسسات ، تماما على تقيض ما زعموا لانفسهم بأنهم نعنون بصراخهم ذلك تاريخ هذه الامة فحاضرها والمستقبل . فالهزيمة الحزبرانية ، لو كانت في غير موقعهم الطبقي لادركوا ان جماهير هذه الامة ليست مسؤولة عنها من قريب أو بعيد ثم لادركوا ، ان المستقبل العربي لا خشية عليه البتة لانه من صم هذه الجماهير بعد ان تمتلك وعيها وتستعيد قوتها المنتهية ، وهذا امر واقع لا محالة .

لعله من لزوم ما يلزم العودة الى « ادونيس » ونحن نلج الى داخل الشعر الحديث في لبنان في مرحلة نهوض حركة التحرر الوطني لا سيما على الساحة الفلسطينية . لكن من اللازم ايضا الإشارة الى ان ادونيس هنا تجاوز واع وبصيد المدى لادونيس هناك من حيث الانتماء الفكري والقومي ، ففي حين تساقط شعراء مجلة شعر تباعا وبدون ضجة تذكر كما تساقطت المجلة نفسها على ايقاع مماثل تفرد ادونيس عن بقية المجموعة كلها بالموقف ومتابعة الانتاج ولكن مشكلا محورا بذاته، ثم تابع رحلة الخلق على اغزر ما تكون الخصوبة من هنا لم نعد نفاجا اذا ما سمعنا ادونيس يقول بالصوت العريض : « تنهم بالخيانة من يقول ان الثورة الفلسطينية فلسطينية وحسب هي ، اذن ، عربية ، هذا معيار مطلق » ومن هنا كان ادونيس شديد الايمان بمستقبل المقاومة الفلسطينية ، رغم ما يحيط بها من مخاطر وما يعمل في أحشائها من عناصر السلب وعوامل الاشغال عن الفاية ، فهو القائل وائل ١٩٧١ : « لولا المقاومة ، هذا اللهب الذي يعصف ويخلخل ، لكان السؤال الاكثر الحاحا والاكثر مباشرة هو هذا : هل نحن شعب ينقرض ؟ » اما حين ينتقل الى لغة الشعر يرسم بها هذا الموقف الوجداني فلا يرتضي للشعر ان يكون وسيلة للسياسة او حتى للحب ، ذلك الشعر ، عنده ، هو نفسه السياسة والحب . ( بيان عن الشعر والزمن ، مجلة مواقف ، عدد ١٣ - ١٤ ) .

وفي حين كانت تجربته هي الوحدة مع الكون التي لم تكن ، كما سبقت الإشارة « سوى الارتداد الى الذات صارت الوحدة المطلوبة هي الوحدة الجدلية بين الانسان والشيء » من هذا المنظور الجديد راي الى العمل الفدائي الفلسطيني فوجد فيه « أماكن التفاعل والجدل بين النظرية والممارسة بين القول والعمل » ثم راح يصور اعتزازه بهذا العمل قائلا : كل ما اطمح اليه هو ان اكون قادرا ، في شعري على ان اواكب في عالم الكلمة ذلك العمل ... ان الشعر الثوري هو مواكبة للعمل الثوري ، وليس وصفه ولا امتداحه ولا تفسيره « ولعل « مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف » هي واحدة من تلك القصائد التي تندرج ، على كثير من الكفاءة والاقتدار ، في ديوان الشعر الثوري العربي . ومن فاتحة هذه القصيدة الملحمية يتخطفك وجه فلسطين الطفل مسع ان

القصيدة ليست غير هدية يقدمها الشاعر لعبد الناصر « وفاء لدين شخصي بينهما » وذلك قبل وفاة القائد العربي

« وجه يافا طفل

هل الشجر النابل يزهو ؟

هل تدخل الارض في صورة عذراء ؟

من هناك برج الشرق ؟

جاء العصف الجميل ولم يأت الخراب الجميل

صوت شريد .. »

ويمضي الشاعر في تقاسيم الوجه - الذبيحة والتاريخ - الدماء

حتى يحار في امر بلاده اهي مجزرة ام ثورة ؟..

لكنه لا يحار في حقيقة وحدتها ، في انها مسمى واحد لعدة

اسماء ، ومن هنا يتشكل حديد القيد :

« علموني ان لي بيتا كيبتي في اريحا

ان لي في القاهرة

اخوة ، ان حدود الناصره

قللة ،

كيف استحال العلم قيديا .. »

ثم يرى الى ابناء فلسطين ، يهجرون ويجرون الى التيه

فيتساءل : متى اتى القتل ؟ كيف لم نشعر ؟..

« متى اتوا ؟ كيف لم نشعر ؟ جبال الخليل يدفمها الليل يمضي والارض

تهزا ، لم نشعر ، دم نازف ، هنا سقط التائر ، حيفا ثن في حجر

اسود ، والنخلة التي فيات مريم تبكي .. » انما يصرخ الشاعر مع

الملايين كلا .. تلك حبيبتي وانا قيس لي اسم آخر سمني به لضع

خاتمة لرحلة التشرذ :

« سمني قيسا وسم الارض ليلي

باسم يافا

باسم شعب شردته البشرية

سمني قبلة او بندقية »

ونقف هنا حرصا على هذا العمل المحمي من ان نسيء اليه بالتر

والتجزئة ، وان اساتنا فعدنا اننا اقمنا الدليل بذلك على مواكبة

الشاعر لفلسطين - الجرح والتصدي كانت بمستوى طموحه .

وفي مرحلة السطوع هذه تجلت الرؤيا عند خليل حاوي فكانت

هالة من هول الرعد ومهابة الجبل في طلعة كل مخلص .. وكانت في

حضور هذا البطل صفوة الاصاله العربية تتخطى ما تتصف به ذاته

من عفة وكرامة وفداء .. كما جاء في مقدمه قصيدته « الرعد

الجريح » التي انجزها الشاعر قبل حرب تشرين وعبأها بتوقعات تشق

عن سيف عربي مقدم يخرج من صلب الليل الحزيري حاملا البشارة

والوعد الحق .

وبعد تشرين ، بعد فترة العهل والمخاض ، يخرج الشاعر الى

الناس بـ « رسالة الغفران من صالح الى ثمود » فتكون « ٦ تشرين

شعري » على حد تعبير واحد من النقاد وهي قصيدة ملحمية تحتل

فلسطين منها الشرايين والخلايا .

وفي هذه المرحلة أيضا ، وتعبيرا عن تفجراتها الخصبه على

ساحة الكفاح الفلسطيني يرتفع صوت الشاعر ميشال سليمان في

ايقاعات هادئة ملونة لكنها مرصودة جميعا لقضية الانسان الفلسطيني

خصوصا والانسان العربي على وجه العموم ومما لا شك فيه ان أغنى

عمل شعري بهذا التواصل الحميم بالقضية وذاك النفاذ الجريء الى

قرارها هو مطولته الشعرية « النار والاقدام الجائمة » الصادرة عام

١٩٧٠ ففي هذه المطولة انطلق الشاعر من الفموض الكاشف في أغوار

الواقع العربي الى التمثل الواعي لظلال الثورة العربية ، فصائل صدامها

الاولى من الثمانين للفلسطينيين . والشاعر اذ يحدد ركب الثوار لا

يغيب عن رؤيته عالم الردع والقمع وشراسة المواجهة ولكن ..

« فليكن .. »

سيروا باقدام عتبات ، صلاب

وبعين سخرت في الردع من ظفر وناب .. »

وفي هذا النهر اللبناني الهادر يجيء صوت الشاعر فؤاد الخشن

ويشكل موجة اشد ما تكون عنفا واكثر ما تكون مرارة حين تتصدى

لقضية من قضايا القومية وعلى وجه الخصوص القضية الفلسطينية .

وانا لنسمعه ، وهو يتحدث عن يوم الفداء ، وكأنه يريدنا الا نسمع

حتى لا تأخذنا شهوة الكلام يريدنا ان نعمل لفلسطين ونعطيها ما

تستحق من سخي العطاء :

« وفلسطين التي اعطيتها ،

يوم اطلاق الهتافات فمك

اعطها اليوم دمك .. »

تلك نماذج تشير بالرمز الى عطاءات حركة الشعر الحديث في

لبنان المتصلة بسبب او اكثر وعلى هذا المستوى الفني او ذاك بالقضية

الفلسطينية . انما يهمنا ان نؤكد ان الجانب المنتمي الى جنوبي لبنان

من هذه الحركة لم يدخل في السياق العام ذلك لانه ، بسبب

الخصوصية التي يتسم بها الجنوب اللبناني فلسطينيا ، يتسم هو

الاخر بخصوصية تكشف علاقاته الوجدانية ، الاكثر حميمة والاشد

حرارة ، بالواقع الفلسطيني وذلك للأسباب التي سبق ذكرها وليس

من داع ، بعد ، لاستعراضها . من هنا نرى ان الضرورة ان نفرّد

لشعراء الجنوب الجدد حيزا خاصا بهم من مساحة هذا البحث ولكن

في حدود المجال .

فمن القواسم المشتركة بين الشعراء الجدد في الجنوب عامة

انهم شباب جيعا اذا لم نقل انهم جميعا في أوائل شبابهم الريان ،

اذن فالمستقبل الشعري الباهر لم يزل امامهم رغم انهم اعطوا الشهادة

يحق عن اقتدارهم في الخوض ، عن مواهبهم المكنوزة ، عن استيعابهم

لتجارب الرواد وعن جرأتهم في الاقتحام . بالإضافة الى ذلك فهم جميعا

يشترون في عملية الالتحام بالارض الجنوبية ، أي ارض فلسطين

والارض العربية اطلاقا ، ثم هم مسكونون ، بهذا الحجم أو ذاك ،

بانسان هذه الارض ، بجرحه التازف من الداخل والصامت من الخارج ،

وبقضية واقعه المتفجر في وجهين يتجسد فيهما القهر والاغتصاب ،

وجه الوحش الاسرائيلي ووجه القمع « الداخلي » فاذا هو بين هذا

وذاك في مراوحة ضارية على شفرة السكين .

هناك شبكة من العلاقات المادية والروحية تجمعهم بشعراء

الارض المحتلة . فهم مثلهم منفيون وان كانوا في وطنهم وهم مثلهم

ملاحقون بوجه الحببية - الارض وان كانت لم تفتصب بكامل جسدها

ولكنها في وضع هو الاغتصاب المذل .

من هنا كان هذا التائر ، ولا عجب ، بشعراء المقاومة وخاصة

محمود درويش ، ولكن على تفاوت كبير بين هذا الشاعر أو ذاك ، انما

## دار الطليعة تقدم

في اصول لبنان الطائفي

وضاح شرارة

كتاب جريء وصدامي يحاول ان يجيب على

سؤال محدد : لماذا كانت الطائفية في لبنان وجها

تاريخيا ملازما لتخط الجماهيري ، وليست مظهرا

عارضيا يمكن طرحه ؟

## في عددنا القادم

محمد عيتاني - خالد تقشبندي - د. أحمد ماضي - خليل هنداري - محمد إبراهيم أبوسنة - علي الخليلي - أحمد عز الدين - سلوى فيل - زكي الاسطه - جواد صيداوي - محمد علي شمس الدين - ماجد الشيخ - مسلم الجابري - هلال بن زيتون - وصفي صادق - النور عثمان أبكر - سلافة العامري - محمد خالدي - صباح الربيعي - حسن الخياط - جودت فخر الدين - د. سيد حامد النساج - عبد الجبار عباس .

### وحول المآخذ الثاني

فربما نكون على حق لو رددنا مع شعراء الجنوب آيات « يا بلو نيروا » تبريرا للعيش على ضفة الجرح شعريا لكونهم يعيشون هذه الحالة واقعا دامقا :

« تسألون لماذا في شعره لا يتحدث عن الاحلام  
عن الأوراق ، عن البراكين العظيمة في وطنه الاصلي ..  
تعالوا لتروا الدم في الشوارع  
تعالوا لتروا الدم في الشوارع  
تعالوا لتروا الدم في الشوارع »

مصادر هذه الدراسة :

- ١ ( مجلة الآداب
- ٢ ( مجلة الطريق
- ٣ ( مجلة العرفان
- ٤ ( ديوان الشاعر القروي
- ٥ ( فلسطين واخواتها للشاعر بولس سلامة
- ٦ ( الفلسطينيين للشاعر سليمان ظاهر
- ٧ ( سفينة الحق للشاعر حسن صادق
- ٨ ( ديوان الحوماني
- ٩ ( دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي - حسين مروة
- ١٠ ( دراسات ماركسية في الشعر والرواية
- ١١ ( مجلة مواقف
- ١٢ ( الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين - كامل السوافيري
- ١٣ ( الآثار الكاملة - أدونيس
- ١٤ ( قصائد مختارة - يوسف الخال
- ١٥ ( قضية فلسطين في الرواية العربية - رنثة حيدر
- ١٦ ( النار والاقدام الجائمة - شعر ميشال سليمان
- ١٧ ( الهوى وحديث العينين - شعر فؤاد الخشن
- ١٨ ( الآثار الكاملة - خليل حاوي
- ١٩ ( مجلة شعر
- ٢٠ ( دراسة جامعية حول مجلة شعر لرشيد الضعيف
- ٢١ ( دراسة لحسن زبيبا
- ٢٢ ( قصائد مهربه إلى حبيبتني آسيا - محمد علي شمس الدين
- ٢٣ ( فكاهيات بلباسي الجيدان - إلياس لحود

هناك عائلة من الهموم المشتركة التي تسكن الوجدان وتجد لها متنفسا في هذه القصيدة أو تلك .

وحسبنا ان نشير ، هنا ، الى بعض السمات المشتركة بين العديد من شعراء الجنوب وبين زملائهم من شعراء المقاومة :

أ - عشق الارض - الام الحبيبة  
ب - الخروج التمرد من تقليدية النواح والبكاء الى ممارسة التحدي والاثارة فالتعبئة .  
ج - التأثر بالاحداث الفلسطينية والعربية ثم العالمية .  
د - هيمنة ظاهرة اليسارية على الشعر ، تلك الظاهرة التي رأها بجلال غسان كنفاني واعتبرها « من الظواهر المميزة لشعر المقاومة في الارض المحتلة »

هـ - استخدام أدوات واساليب متماثلة من حيث الشكل . والمثل القريب على ذلك هو دخول الموال أو الأزجال الشعبية الى بنية القصيدة ، وهذه ظاهرة جديدة كل الجدة اذ لم يسبق لشاعر جنوبي ان مارس هذا الضرب من القول قبل شعراء المقاومة الفلسطينية .

تلك ظواهر قد استرعت انتباهنا في حركة الشعر المقاوم منذ ان همرت بصوتها المصير في الارض المحتلة وخارجها على حناجر محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، احمد دحبور ، و ... و ..

وهذه الظواهر بالذات قد استرعت انتباهنا ايضا في نتاج شعراء الجنوب الجدد . وبرزهم : محمد علي شمس الدين ، حسن عبدالله ، حمزة عبود ، محمد عبدالله ، شوقي بزيع ، إلياس لحود ، عباس بيضون ، واحمد فرحات ...

صحيح ان هؤلاء الشعراء قد تأثروا بشعر المقاومة ، على هذا النحو أو ذاك ، ليس لأن هذا الشعر قد مارس فعله الثوري عليهم فحسب بل ولكونهم يعكسون ، فنيا ، واقعا اجتماعيا مشتركا الى حد بعيد .

نقول صحيح انهم قد تأثروا بحركة الشعر المقاوم الا انهم لم يفقدوا هويتهم الخاصة بهم ، التي منحتم وجها متميزا ولكنهم ، في الوقت نفسه ، لم يشككوا تيارا متميزا ، وما كان لهم ان يشككوا ليس لانهم ما زالوا « يدورون في المناخات الشعرية التي طرحها الرواد » عموما وأدونيس خصوصا ثم شعراء المقاومة . وليس بسبب « الاختلاف فيما بينهم في ممارسة العملية الشعرية » ولكن ، ايضا بسبب ان تجاربهم الشعرية لما تزل في طريقها الى النضج فالامتلاء ، وان الارض الفكرية لعدد منهم لم تستقر بعد او تتحدد معالمها بوضوح .

ولكن مهما يكن من امر فإن المكان الذي نزله شعراء الجنوب من ديوان الشعر العربي في السنوات الثلاث الاخيرة انما يدل على حقيقتين معا :

- امتلاك الفعل المؤهل في الحاضر

- امتلاك الوعد الصادق للمستقبل

اما عن المآخذ التي يسجلها جمهور الشعر عليهم جميعا أو على العديد منهم فلا نملك في هذا المجال سوى الإشارة الى مآخذين :

الأول : الفموض الذي يطغى فعل الاتصال

الثاني : الفوص في جسد الفجعة الى حيث ينطفيء توقع مجيء الفرج حول المآخذ الأول

قد نصل بالتحليل العلمي لظاهرة التعقيد أو الفموض في الشعر الحديث الى ما وصل اليه حسين مروة اذ رأى ان خلف هذا التعقيد يكمن من جهة الواقع العربي المعقد جدا لاسيما بعد هزيمة حزيران ومن جهة ثانية « فقدان الرؤية القائمة على نظرية ثورية حقيقية » عند الشعراء المحدثين بحيث أن الهزائم مهما بلغ شأنها تظل قادرة على احداث زلازل في مفاهيمهم واحاسيسهم لتنتهي ، بالنتائي ، الى تازيم لغوسهم وتعقيدها اكثر .